تقنية عين الطائر في الرؤية الاستشرافية للإمام المغيلي

The bird's eye technique in the forward-looking vision of Imam Al-Maghily

أحمد حمد حميدي النعيمي

أستاذ دكتور

Prof. Dr. Ahmad H. Al-Nuaimi

Al-Balqa Applied University/ Jordan

جامعة البلقاء التطبيقية

المملكة الأردنية الهاشمية

Email (1): ahmad_nuaimi@yahoo.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023-09-08	2023-12-04	2023-12-04

Abstract

This study seeks to find out the forward-looking vision of Imam Muhammad bin Abdul Karim Al-Maghily (909 A.H), as one of the most prominent scholars of his time, because he had a clear impact on the public and the sultans, especially regarding politics and religion.

Key words

Algeria, Imam al-Maghily, Africa, Sultan Kano, Islamic studies, Islamic scholars.

ملخص بالعربية

هذه دراسة تسعى للوقوف على الرؤية الاستشرافية للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، بوصفه واحداً من أبرز علماء زمانه، حيث كان له تأثير واضح على العامة والسلاطين، خاصة فيما يتعلق بالسياسة والدين.

كلمات مفتاحية

الجزائر، الإمام المغيلي، إفريقيا، سلطان كانو (أو كَنُو)، الدراسات الإسلامية، علماء الإسلام.

مقدمة

عندما تلقيتُ دعوةً كريمةً للمشاركةِ في ملتقى الجزائر الدولي "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ)" - الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدتها- فلم يكن بإمكاني التردد في قبولها للحظة واحدة؛ ذلك أنّ الجزائر مِن جهة بلدي الثاني الذي أحبُّ وأعشق، ومِن جهةٍ ثانية أنّ هذا الملتقى ينعقد تحت الرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية السيد عبد المجيد تبون، ومِن جهةٍ ثالثة لا تقل أهمية عمّا سبقها أنّ في هذا الملتقى ربطاً أصيلاً ودقيقاً بين الماضي والحاضر، فلا يكون الحاضر حاضراً إلاّ عندما نُدرِكُ بأنّ اللبنة العليا في جدار البيت تستندُ على كل ما سبقها من لَبِنَات، وأنّ أي لَبِنَة خارج البناء -أو بعيدة عنه- ليست جزءاً منه.

وهنا كان لزاماً عليَّ أنْ أتحركَ بأقصى سرعة، فتنقلتُ بين المكتبات الأردنية باحثاً عن كتب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي أو دراسات حوله وحولها، غير أني للأسف لم أجد إلاّ أقل القليل ممّا ابتغيته، وكان على رأس ما وجدته كتابُه "لب اللباب في ردّ الفكر إلى الصواب"، بتحقيق وتقديم وتعليق أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، والصادر عن دار ابن حزم في بيروت بطبعته الأولى عام 2006، وهنا حَقَّ لي أنْ أتساءل: لماذا هذا الشُّح المعرفي المشرقي عن عَالِمٍ إفريقي كبير وجليل بحجم المغيلي؟ ولم أجد جواباً سوى في ضعف التواصل، وتركيز المشارقة والأفارقة على أعلامٍ بعينهم، على الرغم من إدراكهم لأهمية غيرهم.

غير أني وبمساعدة كريمة مِن رئيس اللجنة العلمية للملتقى الأستاذ الدكتور أحمد الجعفري، وصديقي الأستاذ الدكتور العيد جلولي تمكنتُ من الوصول إلى عدد لا يُستهان به من المصادر والمراجع التي أرّخَت للعلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي، وتناولتْ آراءَه وكتبَه بالبحث والدرس والتحقيق والتعليق، فجزاهما الله عني وعن غيري خيرَ الجزاء وأعظَمَه وأكرَمَه، وكذا لكل باحث وصل علمه النافع لي ولغيري.

وفي هذا السياق كان لا بدّ من اختيار عنوان لدراستي هذه، فقلّبْتُ الأمرَ على وجوهه كافة؛ ولأنني لا أرغبُ في تكرار صَنِيْعِ غيري، فقد اخترتُ عنواناً أظنّه جديداً، وهو: تقنية عين الطائر في الرؤية الاستشرافية للإمام المغيلي، والحقيقة أنّه عنوان أملاه عليَّ بُعدُ نظر الإمام، وسِعَةُ علمه، وتَنَوُّعُ معارِفِه، وجرأتُه في طروحاتِه ومراسلاتِه، وتَفَوُّقُه في التفكيرِ بصوتٍ عالٍ.

الإمام المغيلي: بطاقة تعريفية

اختلف الباحثون والمؤرخون حول تاريخ ميلاد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (وإنْ كانت جمهرتهم قد مالت إلى أنّه ولد عام 831 للهجرة الموافق لعام 1427 للميلاد) غير أنهم جميعاً اتفقوا على أنّ وفاته كانت في عام 909 للهجرة الموافق لعام 1503 للميلاد، فهذا باحث يقول: "ولد المغيلي في مدينة مغيلة، التابعة لبلدية ودائرة مغيلة، ولاية تيارت حالياً سنة 831 هـ الموافق لسنة 1427م" (1)، وهذا آخر يقول: "يُرْجّح أنْ يكون مولده سنة 820 هجرية"(2)، ومِن الباحثين مَن وثق سنة ولادة المغيلي وسنة وفاته في عنوان دراسته، مفترضاً أنّ سنة الولادة لا خلاف عليها، أو متفقاً مع أغلب الباحثين؛ لذلك نجد إحدى الباحثات تعنون دراستها على هذا النحو: "الشيخ المصلح عبد الكريم المغيلي 831-909هـ/ 1427-1503م"(3).

وهذا باحث آخر يذهب إلى أنّ الشيخ المغيلي "ولد في مدينة مغيلة بتلمسان عام 831هـ"(4)، أمّا عن سنة الوفاة، فيتفق عليها جَمْهَرة الباحثين، فعلى سبيل المثال هذا الأستاذ الدكتور أحمد جعفري يقول: "يعتبر الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ) واحداً من أبرز الشخصيات خلال القرن العاشر الهجري؛ وذلك لما عُرف عنه من ثورة فكرية، وإصلاحية امتدّ صداها على طول الساحل الإفريقي ليصل أدغال إفريقيا، مروراً بمنطقة توات التاريخية محل إقامته النهائية، ومثواه الأخير"(5)، ولم أعثر على أي مصدر أو مرجع يخالف سنة الوفاة هذه، ممّا يؤكد على أنّ ثمّة اجماعاً بين الباحثين على أنّ الإمام المغيلي توفي سنة 909هـ.

ما هي عين الطائر؟ ولماذا عين الطائر؟

العين هي مجرى البصر، وكلما نَظَرَتْ للأشياء من عُلو وارتفاع كان مدى الرؤية أوسع، وأعمق، وأكثر شمولاً واستكشافاً للأشياء المرئية، والأشياء المتوقع رؤيتها؛ وربما لهذا السبب قَلّدَ الإنسان الطائر، فاخترع الطائرة، والمركبة الفضائية، وغزا الكون مستكشفاً، وباحثاً عن اليقين.

وربما ليس صدفة أنْ يسمي الخليل بن أحمد الفراهيدي معجمه "العين" نسبة لأول حرف فيه، فالعين حرفٌ وبَصَرٌ، وربما ليس صدفة أيضاً أنْ يكون "العين" أول معجم شامل وصل إلينا، وقد يكون مِن الجدير بالذّكر أنّ "الفراهيدي رأى في بعض الحروف أصواتاً مُحَاكية للطبيعة"(6).

أمّا عين الطائر؛ فتلك التي ترصد الأشياء من علو شاهق، وتعاين المكان ومدى ملاءمته لها ولحاجاتها، وأمّا لمّاذا عين الطائر؛ فلأنّها يَقِظَةٌ، لَمّاحَةٌ، قادرةٌ على الانتقاء والاصطفاء؛ والطيور أنواع، فما بالك إذا كانت العينُ عينَ نسر أو صقر، كما هو حال الإمام المغيلي رحمه الله؟! لا شكّ ساعتئذٍ أنّها عينٌ ترصد، وترى، فتحلل ما تراه، وتُزْجِي النصائح، وتَمْنَح المعارف.

عين الطائر في منطق الإمام المغيلي

نَظَرَ الإمام المغيلي إلى المعارف بعين الطائر المحلق عالياً، رائياً تفاصيل المكان، وحاجات زمانه، مُدْرِكاً أنّ العالِمَ الحَق بحاجة إلى شيء من كل شيء حتى وإنْ تخصص؛ لذلك نجده يَبْرَعُ في علومٍ شتى، فهو الفقيه، ورجل الدين والسياسة، وهو العارف بالتاريخ والمنتمي إلى الجغرافيا الإسلامية على اتّساعها، وهو الفَطِنُ العارفُ بما أحاق بأمّته مِن مخاطر ماضية، ومخاطر حاضرة -في زمانه- ومخاطر متوقعة، وهو الأديب والشاعر والمنطقي، والمتمكن مِن علوم اللغة العربية بصرفها ونحوها وبلاغتها، وسائر تفرعاتها.

ولعل هذا ما دفع أحد الباحثين للقول: "برع الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في علوم ذلك الزمان، فهو أصولي، وفقيه، ومحدث، ومفسر، ومنطقي، ولغوي، وأديب، وشاعر موهوب"(7)، وليس أفضل مِن تجسيد رؤية المغيلي في هذا الجانب سوى المغيلي نفسه، إذْ يقول في رسالته إلى سلطان كانو:

"مُقَامُ عُقَابُ الطَّيرِ في الجوِّ والفلا وأنْشَطُ دِيْكٍ في البيوتِ يَجُوْلُ"

"ومَا المُلْكُ إلاّ للعُقَابِ بِعَزْمِهِ وللديكِ صوتٌ في الدَّجاجِ يَصُوْلُ"(8).

هكذا نَجِدُ المغيلي مهتماً بصورة العُقَاب، والعُقاب ليس سوى طائر كبير الجناحين استهوى الشعراء منذ القدم، نظراً لتحليقه المتميز، ووقفته التي تتسم بالكبرياء ونظرته الثاقبة؛ ولأنّه يمتلك جناحين يفوقان حجم جسده بكثير، فقد استخدمه المتنبي كرمز للشموخ وشَبَّهَ سيف الدولة به مِن خلال استعارة تمثيلية متقنة الصياغة، وبناء فريد للصورة الشعرية، وفي ذلك يقول المتنبي واصفاً سيف الدولة الحمداني:

"يهزّ الجيشُ حولكَ جانبيه كما نَفَضَتْ جناحَيْهَا العُقَابُ"(9).

هنا يستخدم المتنبي صورة طيور العُقاب (وتُجْمَع على عِقبان) لوصف سيف الدولة وهو واقف في قلب جيشه يستعد لبدء المعركة، بحيث يبدو سيف الدولة كما لو كان جسداً صغيراً محاطاً بجناحين كبيرين، يقصد بهما المتنبي ميمنة الجيش وميسرته. إنّه مشهد مهيب مناسب لفيلم سينمائي مؤثر، فيما لو التقط مخرج بارع صورة لعُقَاب يفرد جناحيه معتلياً جبلاً أو محلقاً في السماء، ثم ينتقل بالكاميرا فوراً لسيف الدولة وهو يتوسط جيشه.

غير أنّ الإمام المغيلي استخدم العُقَاب لصورة مغايرة عن تلك التي استخدمها المتنبي، على الرغم مِن أنّهما التقيا في الهدف، فنقيض العُقاب عند المغيلي هو الديك؛ ذلك الطائر الذي لا يملك القدرة على الطيران، فالديك مجرد طائر بالاسم فقط، ومجرد ظاهرة صوتية لا قيمة لها أيضاً، حاله كحال الإنسان العاجز، أو حال السلطان الفاشل في أنْ يسوس رعيته كما يجب للرعيّة أنْ تُسَاس.

لقد أبدع المغيلي في رسالته إلى سلطان كانو إبداعاً قلَّ نظيره، فلا مجاملة في هذه الرسالة، ولا هي برسالة مديح أو ذم، وليس فيها أي مطلب شخصي، بل هي بمثابة برنامج نهضة، وبرنامج عمل يتوجب على السلطان الناجح اتباعه، والسير على هديه، ابتداء مِن مظهر السلطان واتزانه وهيبته، مروراً بأوامره ونواهيه، ومراقبته لوزرائه وعماله، وعدم احتجابه عن رعيته، وهو ما يفسر رأي المغيلي الواضح بأن أساس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية، وهي الجملة التي أعادها مراراً وتكراراً في رسالته القوية والمؤثرة.

بين السياسة والدين: المغيلي والمسألة اليهودية

لم ينطلق المغيلي في اختلافه مع اليهود من باب عنصري، أو تعصب ديني، ففي الحقيقة هو اختلاف تطور إلى خصومة، وخصومة تطورت إلى عداوة، وعداوة تطورت إلى حرب بين الطرفين، فأوجعهم وأوجعوه؛ أوجعهم في حربه الضروس معهم، وإصراره على أنْ يرتدعوا، وأوجعوه حين اغتالوا ابنه أثناء سفره حاجاً إلى بيت الله الحرام.

ولقد كان للصدام بين المغيلي واليهود مسوغاته في ذلك الزمان، على أنّه يجب الانتباه إلى أنّ الإمام لم يحارب اليهودية بوصفها ديانة، ولم يحارب اليهود بهدف دفعهم ليتحولوا إلى الإسلام، ولكنه حارب طائفة، أو رهطاً منهم؛ لأسباب اقتصادية واجتماعية رآها تُلحق الضرر بشعبه وبلاده وأمته، ورأى بأنّه لا يمكنه السكوت عن تجاوزاتهم الكثيرة والمتكررة.

والحقيقة أيضاً، أنّه لم يكن ثمة إجماع بين العلماء المسلمين الذين عاصروا الإمام المغيلي على محاربة تلك المجموعة اليهودية بأسلوب يفضي إلى الصدام الذي لا يحتمل العودة عنه، فكان للإمام أسلوبه، وكان للآخرين أساليبهم، غير أنّهم جميعاً اتفقوا على أنّ ثمة ضرراً لا يمكن السكوت عنه تسببت به تلك المجموعة من اليهود.

على أنّي في تتبعي لسيرة ومسيرة الإمام المغيلي، وجدته إنساني الرؤية، إسلامي النزعة والمعتقد، ولم يحارب اليهود؛ لأنّهم يهوداً، فهو عالم مسلم يُدْرِكُ أنّ الإسلام دين إنساني في السلم والحرب (نستذكر هنا وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم للمقاتلين قبل توجههم للقاء أعدائهم، فهي وصايا سَبَقَتْ ما يسمونه اليوم باحترام قواعد الاشتباك)، ويدرك الإمام المغيلي أيضاً بأنّ اليهود أهل كتاب، ولأهل الكتاب في الإسلام قواعد خاصة في التعامل معهم، يعرفها الإمام المغيلي حقّ المعرفة.

وعلى الرغم من أنّ الإمام المغيلي وَجَدَ "طائفة يهودية طاغية بمالها وثرائها الفاحش الذي اكتسبته بالطرق غير الشرعية كالربا والاحتيال"(10)، فإنّ عدداً لا يُستهان به مِن علماء ذلك الزمان خالفوا الإمام المغيلي في موقفه من تلك المجموعة اليهودية، و"منهم الشيخ ابن زكري، والفقيه عبد الله العضوني قاضي توات واعتبروه عنصرية، وضرباً مِن ضروب الجاهلية نهى عنها الإسلام الذي دعا إلى التسامح والأمن وإن اختلفت الأديان"(11)، وقد خالف هؤلاء العلماء الإمام المغيلي على الرغم مِن دوره الكبير "في ظهور الحركات الجهادية في غرب إفريقيا"(12).

ومثل هذا الخلاف والاختلاف في زوايا النظر -إنْ دلَّ على شيء- إنّما يدل على أنّ العلماء المسلمين كانوا ينطلقون مِن قناعاتهم، وفهمهم لأمور دينهم ودنياهم، وكانوا يتفقون ويختلفون ويتحاورون وينتقدون بعضهم في سياق حركة علمية، ومعرفية واجتهادية، تستحق التأمل والدرس.

الحَاكِم والعالِم: هرم برأسين

بات معلوماً بأنّ الإمام المغيلي "نشأ بين أحضان عائلته المعروفة بالعِلم والتّقوى والتّصوف"(13)، و"بفضل الاتصال والاحتكاك الذي وقع للإمام المغيلي مع مُجْمَلِ مَن التقى بهم مِن ملوك وأمراء إفريقيا توسَّعت رقعة الإسلام، وصُححت كثير مِن المفاهيم، والأفكار المغلوطة التي ظلت معششة لفترة طويلة مِن الزّمن في أذهان كثير مِن الأفارقة حكاماً ومحكومين"(14).

لم يُنْظُر الإمام المغيلي إلى العَالِم على أنّه ظلٌّ للحاكم، أو تابع له، أو مجرد مُنَفِذ لأوامره، ونواهيه، بل رأى في العالِم الحقّ موجهاً وناصحاً للسلطان، وإذا كان دور السلطان أنْ يدير البلاد والعباد، فإنّ دور العالِم أنْ يراقب هذه الإدارة، ويقدم النصيحة للسلطان كلما شَعَرَ أنّه بحاجتها.

وعلى الرغم مِن أنّ للهرم رأساً واحداً فإنّ المغيلي رأى هذا الهرم برأسين: رأس يدير، ورأس يوجه، وبهذا لم يَكُن الإمام المغيلي يَنْظُرُ لدَوْر العِلم والعلماءعلى أنّه مجرد تنظير، أو حبر على ورق، ولكنّه رأى في هذا الدور دوراً فاعلاً يؤدي وظيفة لا تقلُّ أهمية عن وظيفة السلطان نفسه، ولسان حاله يقول: صحيح أنّ الحاكِم القوي الصارم ضرورة حاسمة للدولة، لكّن النواحي المعرفية والمعنوية بيد العلماء، وهي ضرورة لا تقلّ أهمية عن ضرورة وظيفة الحاكم.

وقد كانت رسالة الإمام المغيلي لسلطان كانو (أو كَنُو) خير تجسيد لتلك العلاقة بين الحاكِم والعالِم كما رآها المغيلي؛ ذلك أنّها رسالة عميقة في مغزاها ومحتواها، عبقرية في مضامينها، وصياغتها، وأسلوبها، وتسلسلها المنطقي.

ويَحْسُنُ بنا أنْ نقف عند هذه الرسالة نَظَراً لأهميتها المعرفية مِن جهة، وأهميتها التاريخية مِن جهة أخرى، حيث تقع هذه الرسالة في مقدمة مختصرة، وثمانية أبواب، جاء الباب الأوّل منها بعنوان: فيما يجب على الأمير مِن حُسن النيّة، وفي هذا الباب يقول الإمام المغيلي للسلطان(15): "ما ولاك الله عليهم لتكون سيدهم ومولاهم، وإنّما ولاك عليهم لتصلح لهم دينهم ودنياهم"(16).

أمّا الباب الثاني، فجاء تحت عنوان: فيما يجب على الأمير مِن حُسن النيّة، وفيه يطلب الإمام المغيلي مِن السلطان عدم التَّزَيُّن "بذهب ولا فضة ولا حرير"(17)، إذْ لا ينبغي للسلطان أو الأمير أنْ يجعل مِن نفسه "عبد ثوب، ولا حصان، ولا عبد فسطاط ولا مكان"(18)، بينما يأتي الباب الثالث تحت عنوان: فيما يجب على الأمير مِن ترتيب مملكته، وفيه يرى المغيلي بأنّ "الإمارة سياسة في ثوب رياسة، فعلى كلّ أمير أنْ يرتب نظام مملكته لسكونه وحركته"(19)، ويشرح المغيلي بعض هذه الترتيبات في الباب الرابع الذي جاء بعنوان: فيما يجب على الأمير مِن الحذر في الحضر والسّفَر، حيث يقول للسلطان: "وليس وقت الخوف كوقت الأمان، واكتم سرك عن غيرك حتى تتمكن من أمرك"(20).

ويأتي الباب الخامس بعنوان: فيما يجب على الأمير مِن كشف الأمور، وفيه يطلب الإمام المغيلي مِن السلطان أنْ ينتبه لرجاله، ويحرص على عدم وقوعهم بالرشوة حتى لو كانت تحت مسمّى هديّة، "فكم حَوَّلَت الهديَّة مِن ناسك لليهوديّة والنّصرانيّة"(21)، أمّا الباب السادس فيأتي بعنوان: فيما يجب على الحكام مِن العدل في الأحكام السلطانيّة، وفي هذا الباب يرى الإمام المغيلي بأنّ "السلطنة رجلان: العدل والإحسان"(22).

أمّا الباب السّابع، فجاء بعنوان: في مجبي الأموال مِن وجوه الحلال، وفيه يُحذر الإمام المغيلي السلطان من إرهاق الناس بالمكوس، فيقول له: "ومِن الظلم أيضاً: المكس، وهو حرام بإجماع"(23)، بينما يأتي الباب الثامن -وهو الباب الأخير في هذه الرسالة- بعنوان: في مصارف أموال الله، وفيه يرى الإمام المغيلي بأنّ "الكرم دوام الملك، والبخل والتبذير خرابه"(24)، وقد حرص الإمام المغيلي أنْ يقول في نهاية كل باب مِن الأبواب: "ورأس كلّ بلية احتجاب السلطان عن الرّعيّة"(25)، وقد استثنى الباب الثامن مِن هذه المقولة، حيث خَتَمَه، وختم الرسالة بالصلاة على النبي(26).

المنطق في عين الطائر

تتجلى عين الطائر أكثر ما تتجلى عند الإمام المغيلي مِن خلال كتابه: لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب، فهو كتاب في المنطق، وفيه يبرز الإمام المغيلي كمنطقي متمكن، لا يقل أهميّة عن العمالقة مِن مناطقة الشرق والغرب.

وفي هذا الكتاب الذي يُعَدُّ كنزاً لا يُقدر بثمن، نجد أوّل عنوان فيه: أصول المنطق، ثم ينتقل الإمام المغيلي إلى عنوان آخر، هو "مسألة"، وهذا العنوان يتكرر في أغلب صفحات الكتاب، حيث تُفْضِي كلّ مسألة إلى أخرى ضمن تسلسل منطقي تَمّ العمل عليه بأسلوب إبداعي.

ولعله مِن المناسب قبل الولوج إلى آراء الإمام المغيلي في المسائل المنطقية، أن نميّز -مِن وجهة نظر معاصرة- بين الفلسفة، والمنطق، فالفلسفة "هي بذل الجهد من أجل الحصول على المعرفة الحقيقية الخالصة مهما كان نوع المعرفة: طبيعية أو رياضية أو ما إلى ذلك"(27)، بينما المنطق هو "القوانين المنطقية التي تحمي الذهن من الخطأ والزلل وتوجهه إلى صواب الرأي وتبعده عن الخطأ في العقيدة وغير ذلك؛ حتى تتوافق العقول الصائبة على صحة المنطق"(28)، أمّا موقع ويكيبيديا فيذهب إلى أنّ "علم المنطق يمكن أن يُسمى أيضاً علم الميزان، حيث به توزن الحجج والبراهين، وكان ابن سينا يسميه خادم العلوم، كما كان الفارابي يسميه رئيس العلوم. وجاءت تسميته بالمنطق من «النطق» ويطلق على «اللفظ» وعلى «إدراك الكليات» وعلى «النفس الناطقة"(29).

وبالعودة إلى الإمام المغيلي، نجده يقول في المنطق: "أمّا المنطق: فاخْتُلِفَ فيه، هل هو علم أو آلة؟ والتّحقيق أنّه علم بالنّظر لنفسه، آلة بالنّظر لغيره"(30)، ثم يضيف: "فعلى الأوّل قالوا: المنطق عِلم يُتَعَلَّمُ فيه كيفية الانتقال مِن أمور حاصلة في الذهن لأمور مستحصلة فيه، وعلى الثاني قالوا: المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر"(31).

وفي المسألة السابقة لمسألة تعريف المنطق يميز الإمام المغيلي بين الترتيب، والعلم، والمعلوم، فيقول: "أمّا الترتيب: فهو جَعْلُ الأشياء في المراتب، وهي المنازل. والعلم: فحصول صورة أمر في الذهن. والمعلوم: هو الصورة الحاصلة في الذهن"(32).

إنّ التمييز بين "حصول صورة أمر في الذهن" و"الصورة الحاصة في الذهن" يدلّ على منطقي متمكن، يُدْرُكُ أنّه يتعامل مع "علم الميزان"، حيث لكلّ كلمة منطقها في سياقها.

وفي مقاصد التصورات يتساءل الإمام المغيلي: "ما المُعَرَّف مِن حيث هو؟ وكم أقسامه؟ ومَا كلّ قسم فيه؟"(33)، وعلى هذا المنوال يستمر الإمام المغيلي في طرح المسائل المنطقية، وهي الأسئلة التي تَلِدُ إجابات، ثمّ لا تلبث الإجابات أنْ تَلِدَ أسئلةً أخرى، لا بدّ لها مِن إجابات.

نعم، إنّها عين الطائر تلك التي نَظَر الإمام المغيلي مِن خلالها لكلّ مسألة استحقت النّظر، وهي عين ترى الأشياء وهي بعيدة عن الهدف، ثمّ تُمْعِنُ في معاينة الهدف كلما اقتربت منه أكثر، إنّها عين ترى المكان على اتّساعه، وتتأمّل في آفاقه، فقد تدربت جيداً على العيش في أرضه، وسمائه، وقريبة مِن مائه... يا لها مِن عين بصيرة! ويا للإمام المغيلي مِن عالِم شمولي، درّب نفسه جيداً على الفهم المنطقي للعالَم، وأمور دينه ودنياه!.

الخاتمة

أمّا وقد وصَلَت هذه الدراسة إلى خاتمتها، فقد توَصَّلَت إلى جملة مِن النتائج، أبرزها:

- اختلف الباحثون حول سنة ميلاد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، لكنهم اتفقوا حول سنة وفاته، وهي 909هـ/1503م.
- الإمام المغيلي عالم مسلم، يتسم بالشمولية، وبُعْد النَّظر، وسِعَة الأفق، وكان واحداً مِن أبرز علماء زمانه.
- رجَّحَت هذه الدراسة بأنّ الإمام المغيلي لم يحارب اليهود؛ لأنّهم يهوداً، ولكنه حارب طائفة منهم اتسمت بالجشع، والاحتكار، والمبالغة في التعاملات الربوية، والخروج على القوانين والأعراف.
- لم يتفق جميع العلماء المسلمين في عصر الإمام المغيلي على محاربة تلك المجموعة اليهودية بالطريقة التي حاربهم فيها.
- لم يَكُن الإمام المغيلي مجاملاً للسلاطين، ولا باحثاً عن عطاياهم، ولكنّه كان ناصحاً أميناً لهم.

الهوامش

(1) مقدم، مبروك: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2004، ص27.

(2) نور الدين، حاج أحمد: المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011، ص27.

(3) شفشة، نادية سالم: "الشيخ المصلح عبد الكريم المغيلي 831-909هـ/ 1427-1503م"، مجلة كلية التربية، الزاوية، جامعة الزاوية، العدد الثاني والعشرون، الجزء 2، يوليو 2021، ص2.

(4) بوكرديد، نور الدين: جهود العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي في مجال الكتابة في فقه السياسة الشرعية بين التجويد والتأثير، قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (د.ت)، ص99.

(5) جعفري، أحمد: حوار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ) مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي لإفريقيا، مجلة الفضاء المغاربي، المجلد الرابع-العدد الأول، سبتمبر 2020م/صفر 1442هـ، ص6.

(6) سارة، خليل وعبد القادر بوشيبة: قراءة في مقدمة معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي في ضوء علم اللغة الحديث، مجلة (لغة-كلام)، الجزائر، مخبر اللغة والتواصل-المركز الجامعي بغليزان، المجلد 06، العدد 04، 2020، ص311.

(7) فرقاني، محمد: تحقيق: رسالة المغيلي إلى سلطان كانو "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"، تصنيف الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت 909هـ/1503م)، أرشيف الإسلام، منصة جامعة للمحتوى الإسلامي على الإنترنت، (د.ت) ص188.

(8) المصدر السابق، ص191.

(9) الشلبي، محمود وآخرون: قواعد تطبيقية ونصوص مختارة، الأردن، جامعة البلقاء التطبيقية، 2009، ص95.

(10) عطية، عبد الكامل: دعوة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في الجنوب الجزائري وحواضر غرب إفريقيا، الجزائر، جامعة الوادي، مجلة جامعة الوادي، المجلد 2، العدد 4، ديسمبر 2020، ص156.

(11) الخيالي، عبد المجيد: رسالتان في أهل الذمة: دراسة وتحقيق، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001، ص17-18.

(12) شفشة، نادية سالم (مرجع سابق)، ص3.

(13) بن خويا، ادريس وبرماتي، فاطمة: الشيخ سيدي بن عبد الكريم المغيلي: من المهد إلى اللحد، الجزائر، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، مجلة الذاكرة، العدد السابع، ماي 2016، ص12.

(14) جعفري، أحمد (مرجع سابق)، ص13.

(15) يُنْظَر: فرقاني، محمد: تحقيق: رسالة المغيلي إلى سلطان كانو "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"، تصنيف الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت 909هـ/1503م)، أرشيف الإسلام، منصة جامعة للمحتوى الإسلامي على الإنترنت، (د.ت) ص189.

(16) المصدر السابق، ص189.

(17) المصدر السابق، ص189.

(18) المصدر السابق، ص190.

(19) المصدر السابق، ص190.

(20) المصدر السابق، ص192.

(21) المصدر السابق، ص193.

(22) المصدر السابق، ص193.

(23) المصدر السابق، ص196.

(24) المصدر السابق، ص196.

(25) المصدر السابق: يُنْظَر نهاية كل باب مِن الأبواب السبعة الأولى في الرسالة.

(26) يُنْظَر: المصدر السابق، 198.

(27) موقع المرسال: موقع الكتروني على الإنترنت، 26/اكتوبر/2018 رابط صفحة الاقباس: https://www.almrsal.com/post/611159

(28) المرجع السابق، الرابط نفسه.

(29) ويكيبيديا: موقع الكتروني على الإنترنت (د.ت)، رابط صفحة الاقتباس: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82_%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D9%8A

(30) المغيلي، محمد بن عبد الكريم: لبُّ اللباب في رد الفكر إلى الصواب، تحقيق وتقديم وتعليق: الجزائري، أبو بكر بلقاسم ضيف، بيروت-لبنان، دار ابن حزم، 2006، ص25.

(31) المصدر السابق، ص25.

(32) المصدر السابق، ص24.

(33) المصدر السابق، ص41.